حتى إذا رأوا ما يوعدون وقال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل
قل إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد
وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة
فإن قلت ما معنى قوله أم يجعل له ربي أمدا والأمد يكون قريبا وبعيدا ألا
ترى قوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل
ضربت له غاية أي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى
يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي
هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا
برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة
والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط فإنه يسلك من
بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه
من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ
ما أوحي به إليه وعن الضحاك ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين
أن يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالات ربهم يعني الأنبياء
وحد أولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فإن له
نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة
والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء
للمفعول وأحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء
ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها وأحصى كل شيء من ذرات القطر
والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه

وعددا حال أي وضبط كل شيء معدودا محصورا أو مصدر في معنى إحصاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق بمحمد

سورة المزمل مكية تسع عشرة أو عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المزمل المتزمل وهو الذي تزمل
في ثيابه أي تلفف بها بإدغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المدثر وقرئ المتزمل
على الأصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول
من زمله وهو الذي زمله غيره أو زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من
التزمل في قطيفة واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه أمر
ولا يعنيه شأن وفي أمثالهم أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد
يا سعد الإبل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس
وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة
والمجاهدة في الله لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك
مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على إحياء لياليهم ورفضوا الرقاد والدعة
وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيما في
وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في
مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي
كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي الله عنها أنها
سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا
نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا
مرعزى ولا إبريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة

Copyright © King Saud University